

المؤامرة الكبرى

في الخامس من حزيران (١) ، منيت الانظمة العربية التقدمية بهزيمة تاريخية . ولقد كان من الطبيعي ان يسقط عار الهزيمة ، الاقنعة التي كانت تحجب الانظار عن رؤية حقيقة تلك الانظمة واكتشاف الخلل الكامن فيها وفي انماط العقليات والاساليب التي سادت المرحلة التي سبقت تلك الهزيمة . . .

وبعد ان استردت الامة العربية وعيها من بعد ذهول الصدمة ، اعتقدت ان بإمكانها تجاوز الهزيمة عن طريق تفهم اسبابها العميقة ومعالجة تلك الاسباب ولو اقتضى ذلك ان تعيد بناء ثورتها من الصفر . بيد ان الاستعمار والصهيونية واعداء الثورة العربية ، كانوا بالمرصاد لهذه اليقظة الجديدة . فقد جندوا قواهم لتعطيلها واجهاضها والتامر عليها والحيلولة دون الثورة العربية ودخول المرحلة الجديدة ، مرحلة تحويل الهزيمة الى منطلق للنصر ، وقد وجد التحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي في انظمة الهزيمة خير عون له على تحقيق مخططه الاجرامي ، ذلك ان ابتعاد الانظمة العربية التقدمية عن الشرطين الاساسيين اللذين بدونهما لا تكون الثورة العربية ثورة بالمعنى الصحيح :

(١) مقالة نشرت في «الاحرار» البيروتية بتاريخ ٢٥ ايلول ١٩٧٠ .

أ - مشاركة الجماهير الشعبية الواسعة .

ب - السير في طريق الوحدة العربية .

قد افقدت تلك الانظمة كل طابع ثوري جدي ، وجعلها تقوم في الاساس على التسويات الطبقية والاقليمية والتسوية الضمنية مع الاستعمار والصهيونية واعداء الثورة العربية . وكان محتوما ان يدخل الاستعمار بشكل او اخر في بنيان تلك الانظمة وان ينفذ الى قياداتها وان يخطط لتلك الانظمة مجرى سيرها والحدود التي ينبغي ان تتوقف عندها .

وقد اتضح بعد فترة قصيرة من هزيمة حزيران المخطط الجديد المشترك الذي تعاونت على تنفيذه جميع القوى المضادة والمعيقة والمعادية للثورة العربية . فقد وجدت الامة العربية نفسها بعد ايام واسابيع من النكسة التاريخية معرضة لادهى انواع الدعايات والمؤثرات الهادفة الى تخدير حسها بالهزيمة حتى تبتعد عنها صورتها يوما بعد يوم ، وتنسى الذين تسببوا فيها ، وتتم هكذا ببطء عملية ترويض نفسية فريدة من نوعها ، لتوجيه الانظار نحو مسيبي الهزيمة كما لو انهم منقذون ، وتحويل صورة الهزيمة الى ما يشبه النصر ، وتصوير استمرار الانظمة التي صنعت الهزيمة بانه نصر يفوق نصر الاعداء . وتعبير اوضح : حماية الامراض والافات التي اوصلت الى ٥ حزيران وتمكينها من متابعة فتكها في جسم المجتمع العربي لكي تتجدد الهزيمة بين حين واخر وتتوالد وتشيع اليأس وتقضي على كل امل في الخروج من المحنة .

وهكذا سلطت على الجماهير العربية الجريحة المنكوبة الاساليب الاستعمارية الجديدة لزرع اليأس في طريقها عن طريق دعم الصيغ القديمة التي جاءت بالهزيمة ، وخلق الشعور لدى هذه الجماهير بانها لم تخسر الحرب فقط ، بل خسرت ايضا الدروس والعبر التي قدمتها النكبة .

وقد رافق عملية رد الاعتبار للانظمة التقدمية المهزومة بطبيعة الحال ، تشجيع للأساليب الفوقية البيروقراطية التقليدية المعادية لانطلاقة الجماهير ، غير المؤمنة بدورها ، المتسلطة على مقدراتها ، المعيقة لتطور ثورتها ، المزيفة لنضالها . وتشجيع

مقابل ايضا للنزعات القطرية والانكماش الاقليمي والعشائري ولاساليب الغدر
اللااخلاقية . ومن خلال هذه الثغرات كانت الامبريالية والصهيونية والرجعية تجد
منافذ لها للتآمر على اليقظة الجديدة للجماهير العربية الثورية الكادحة بعد الهزيمة .
وقد ادى انكشاف التخلف والتردي والتسلط والتواطؤ لدى الانظمة المهزومة المسماة
بالتقدمية الى تثبيت مواقع الانظمة الرجعية واكتسابها قوة جديدة وعمرا جديدا بمجرد
المقارنة مع تلك .

واصبح من الجلي الواضح ان كل محاولة لبناء نظام تقدمي جديد بعد الخامس
من حزيران ، تحتاج الى ارتفاع الى مستوى جديد من التقدمية يكون نقيضا حقيقيا
للنظم التقدمية الزائفة التي عرفتھا مرحلة ما قبل النكسة . وان الفشل سيكون حليف
الانظمة الجديدة التي تطمح الى تحطيم طوق التخلف والتجزئة والوقوع في اسر
الاستعمار والصهيونية واعداء الثورة العربية ، اذا لم تنطلق من المبادئ والشروط
التي تتطلبها المرحلة الجديدة ، ومن الدرس الاول لهزيمة حزيران المتمثل بضرورة
تخطي الاساليب القديمة التي ثبت فشلها وعجزها وتآمرها ، اساليب العمل المغلق
الفوقي والاساليب غير المؤمنة بالجماهير وبالوحدة وباسلوب الكفاح الشعبي المسلح
وبالعمل الجبهوي التقدمي .

وقد كان من البديهي ان تندفع الانظمة الجديدة التي لم تتعظ بعبر النكسة الى
نفس المواقف التي وفتھا الانظمة التي صنعت الهزيمة وان يكون موقفها من الكفاح
المسلح ومن العمل الجبهوي ومن الوحدة العربية ومن الجماهير ، على قدم المساواة
مع الانظمة التقليدية التقدمية والرجعية التي سبقت النكسة وكانت عاملا من عواملها
وقد كشفت المحنة الجديدة الرهبة التي ادخلت فيها القضية العربية من جراء
المشروع الاميركي التصفوي ، هذه الحقائق بوضوح .

فقد تركزت جهود الاطراف المتآمرة جميعها على تعميم مشاعر اليأس المطبق
على الجماهير العربية وقتل روح الصمود والثورة . وعندما برزت روح الصمود متجلية
في الكفاح الشعبي المسلح ، تكالبت على تحطيمها وافنائها كل تلك الاشكال
والنماذج من الانظمة المتواطئة مع الاستعمار المعادية للجماهير المنكمشة على

حدود مصالح التجزئة .

ومن هنا كان تاريخ السابع عشر من ايلول يحمل معه من المعاني والمخاطر مايتجاوز في شروبه الخامس من حزيران . انه مؤامرة كبرى تشترك فيها جميع الاطراف التي تتعارض مصالحها مع اي وجود ثوري وقومي سليم وصحيح في الوطن العربي . انها مؤامرة لتصفية الثورة العربية وسحق كل روح ثورية عربية وكل قواعد ثورية اينما تكون . وليس مانشاهده على ارض الاردن اليوم من هجوم مذهلة ومريعة للمحنة الجديدة، ومن انتظام وائتلاف الاطراف العاملة والممهدة والمسهلة لتنفيذ المخطط الاميركي الاجرامي ، ومن اعتماد على القوى الخارجية لسحق الجماهير المناضلة على ارض المعركة، ومن وضع للمقاومة المسلحة التي تمثل ضمير الامة على قدم المساواة مع الرجعية العميلة ومن خنق للمبادرات الهادفة الى اذكاء مشعل الثورة التي اطلقها العمل الفدائي الذي اكتسب من جديد شرف تجسيد ارادة الامة بمجموعها . ليس ذلك كله الا محاولة لتنفيذ اكبر جريمة في التاريخ الانساني المعاصر، ولكن القوى المعادية للتاريخ وللشعوب التي فشلت في ايقاف تقدم البشرية المتحررة في فيتنام واميركا اللاتينية والجزائر سوف تلقى نفس المصير من الجماهير العربية الزاحفة لنصرة العمل الفدائي وانقاذ الثورة العربية واسقاط المخططات الامبريالية الصهيونية الرجعية على ارض فلسطين العربية .

٢٣ أيلول ١٩٧٠